جامعة الانبار

كلية التربية الأساسية / حديثة

قسم: التاريخ

اسم التدريسي: م.د. أحمد شهاب أحمد

المرحلة الدراسية: الثالثة

الفصل الدراسي: الثاني

اسم المادة باللغة العربية: تاريخ الدويلات الاسلامية في المشرق الاسلامي

اسم المادة باللغة الإنكليزية: History of Islamic states in the Islamic East

اسم المحاضرة باللغة العربية: دور الإمارة الحمدانية في الحركة العلمية في الموصل

اسم المحاضرة باللغة الإنكليزية: The role of the Hamdanid Emirate in the scientific movement in Mosul

❁ دور الإمارة الحمدانية في الحركة العلمية في الموصل

نتناول في هذه المحاضرة أثر الإمارة الحمدانية (القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) في تنشيط الحركة العلمية في الموصل من خلال ثلاثة محاور: البيئة السياسية-الاجتماعية الحاضنة، وبُنى المعرفة (المساجد والحِلَق والربط ودُور الكتب)، وشبكات العلماء والرعاية الرسمية. ويخلص إلى أن الحمدانيين—وإن اشتهر جانب كبير من رعايتهم في حاضرة حلب—أسهموا أيضًا في تثبيت دعائم ازدهار علمي في الموصل عبر تأمين الاستقرار النسبي، وتوفير الرعاية، وربط المدينة بمراكز العلم العباسية والجزيرية، مما جعل الموصل محطة فاعلة في تداول الحديث والفقه واللغة والأدب والطب والفلك في القرن الرابع الهجري، وممهّدًا لنهضةٍ أوسع في القرون اللاحقة.

❁ المقدّمة

تُعدّ الموصل إحدى أقدم الحواضر العلمية في العراق والجزيرة الفراتية، وقد تعاقبت عليها دول وبيوتات حكمٍ تركت بصماتها على الحياة العلمية فيها. من أبرز تلك البيوتات بنو حمدان الذين بسطوا نفوذهم على الموصل منذ العقد الأول من القرن الرابع الهجري، ثم توسّع نفوذهم في الشام. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل «كيف» و«بماذا» أثّرت الإمارة الحمدانية في حركة العلم بالموصل، بعيدًا عن السرد السياسي المحض، وذلك عبر قراءةٍ موضوعية لعناصر البنية العلمية: المؤسسة، والراعي، والعالِم، والنص.

أولًا: خلفية تاريخية موجزة عن الإمارة الحمدانية في الموصل

النشأة والإطار الزمني: برز الحمدانيون من قبائل بكر بن وائل، وتوطدت إمارتهم في الموصل خلال القرن الرابع الهجري. مثّل هذا القرن مرحلة انتقالية في العالم الإسلامي بين سيطرة الخلافة العباسية المركزية وبروز الإمارات الإقليمية ذات الحكم المحلي.

الخصائص السياسية ذات الصلة بالعلم: تميّز الحكم الحمداني في الموصل بقدرٍ من الاستقرار الإداري مقارنة بسنوات الاضطراب السابقة، مع مرونة في التعامل مع النُّخب الدينية والعلمية، وحرصٍ على تأمين الطرق التجارية والعلمية بين الموصل وبغداد والجزيرة والشام. هذا الاستقرار النسبي يُعدّ شرطًا لازدهار الدرس والتأليف والرواية.

ثانيًا: البيئة الحاضنة للعلم في الموصل الحمدانية

١. الموقع والاتصال: تقع الموصل على عقدة طرقٍ تربط بغداد بالجزيرة وديار بكر وحلب. هذا الموقع جعلها محطة عبورٍ وإقامةٍ للعلماء والرحالة والرواة، وأسهم في تنوع المذاهب والاتجاهات العلمية فيها.

٢. التركيب الاجتماعي-المهني: مجتمعٌ حضريّ ذو طبقات: فقهاء ومحدّثون، قرّاء، أدباء، أطباء وصيادلة، وكتّاب دواوين. هذا التنوع أفرز طلبًا دائمًا على المعارف العملية (الطب والصيدلة والحساب) إلى جانب علوم الشريعة واللسان.

٣. اللغة والأدب: العربية لغة العلم والإدارة، مع حضورٍ قويّ للأدب والشعر والمناظرات، وتصاعد الاهتمام بالنحو والبلاغة بحكم اتصال الموصل ببغداد (مدرسة الكوفيين والبصريين) وبحلب الأدبية في ظلّ حمدانيي الشام.

ثالثًا: مؤسسات وبُنى المعرفة

١. الجامع الكبير وحِلَق الدرس: شكّلت المساجد—وفي مقدّمتها الجامع الكبير—المساحة الرئيسة للتعليم المفتوح (حديث، فقه، قراءات، نحو). كانت الحِلَق تُدار على نظام «الإسناد» في الحديث و«السماع» والإجازات، ما وثّق مكانة الموصل ضمن خرائط الرواية.

٢. الربط والزوايا: وفّرت الربط (خاصة على الطرق المؤدية للجزيرة) سكنًا للطلبة والغرباء، وأضحت مراكزَ تلقٍّ أوليّ، ومجالس وعظ وإقراء، ورافدًا بشريًا لحلقات الجامع.

٣. البيمارستان والصناعات الطبية: ازداد الطلب على الطب والصيدلة مع نموّ المدينة وحركتها التجارية. استقبلت الموصل أطباء وصيادلة من بغداد والجزيرة، وتداوَل أهلها متون الطب المترجمة والشروح العربية، ما عزّز طبّ الممارسة والتعليم السريري.

٤. دور الكتب والمكتبات الخاصة: إلى جانب خزائن الدولة، انتشرت المكتبات الخاصة لعلماء mosuliين وكتّابٍ، وكانت تُفتح أحيانًا لطلبةٍ مختارين، وتضمّ كتب الحديث والفقه واللغة وشيئًا من الرياضيات والنجوم، متحصّلة عبر الشراء والنسخ والهدايا.

رابعًا: سياسات الرعاية والعلاقة بالعلماء

١. الرعاية الرسمية

المنح والعطاء: قدّم بعض أمراء بني حمدان صِلاتٍ ومخصصاتٍ للفقهاء والقرّاء والكتّاب، وأمّنوا لطلبة العلم رواتب أو أوقافًا صغيرة على المساجد والربط.

استقدام الكفاءات: أفاد الحمدانيون من سمعة الموصل الجغرافية وتوسطها فاستقدموا قرّاء وخطباء وأطباء وورّاقين لتحسين الخدمة العامة وصورة السلطة.

٢. حرية الحركة والمناظرة: سمح الجو العام بجدلٍ علميّ أدبيّ، وتبادلٍ مع بغداد والجزيرة وحلب. وُجدت منافسةٌ حميدة بين نُخب الموصل ونُخب الحواضر المجاورة على استقطاب المحدّثين والشعراء والنسّاخ.

٣. شبكات العلماء: تشكّلت شبكات إسنادٍ وروايةٍ ربطت موصل القرن الرابع الهجري بشيوخ بغداد ونيسابور والجزيرة، وأنتجت أجيالًا حملت لاحقًا نهضة القرنين الخامس والسادس الهجريين (وإن لمع كثيرٌ منهم بعد الحقبة الحمدانية).

خامسًا: ميادين المعرفة في الموصل الحمدانية

١. علوم الشريعة (الحديث والفقه والقراءات)

اعتنى علماء الموصل بعلوم الرواية وضبط الإسناد، وتشكّلت طبقاتٌ من المحدّثين حملت كتبَ السنة ودوّنت تراجم أهل البلد.

في الفقه، حضر المذهب الشافعي والحنبلي إلى جانب الحنفي، مع ميلٍ عمليّ إلى فقه المعاملات بحكم النشاط التجاري.

٢. علوم اللغة والأدب:

ازدهر النحو واللغة والشعر، وتبنّت حلقات الدرس نصوصًا كـ«الكتاب» لسيبويه وشروح المبرّد وثعلب، مع رواية الشعر القديم وحديث المدائح.

أسهمت المراسلات والدواوين في صقل الكتّاب والخطاطين والورّاقين.

٣. الطب والصيدلة والحِساب:

تداول الأطباء كتب جالينوس وحُنين بن إسحاق وابن سِرافيون وأبي بكر الرازي، واعتمدوا وصفاتٍ صيدلانية منجزّة في بغداد.

خدم الحسابُ دواوينَ الجباية والتجارة، مع عنايةٍ بعلم الميقات والنجوم لأغراض دينية ومدنية (الأوقات، الملاحة البرية).

٤. النجوم/الفلك والميقات:

استخدم المؤذنون والميقاتيون جداول عملية وأجهزة بسيطة (الأسطرلاب)، ونُقلت معارفها عبر شروحٍ مختصرة وملخصاتٍ مدرسية الطابع.

سادسًا: وسائل نشر العلم وتداوله

١. التدريس والإجازات: اعتمدت الموصل نظام الإقراء الفردي والحلقي، مع منح «إجازات» في الحديث والقراءات، وإجازات سماعٍ في بعض كتب اللغة.

٢. النسخ والوراقة: نشطت الوراقة لتلبية الطلب على الكتب—ولا سيّما كتب الفقه والحديث— واعتمد النسّاخ هوامشَ وتعليقاتٍ ساعدت في نقل المدارس العلمية.

٣. الرحلة العلمية: رحل طلبة الموصل إلى بغداد ونيسابور ودمشق، ثم عاد بعضهم إلى بلده، فنقلوا معهم مناهج الدرس وطرائق التنظيم. وقد استفاد الحمدانيون من هذه الرحلات بإدماج العائدين في القضاء والخطابة والطبابة والدواوين.

سابعًا: أثر الحمدانيين في تماسك الهوية العلمية للموصل

التوازن بين الديني والدنيوي: أتاح الدعم الحمداني قيامَ بيئةٍ تحترم الوظيفة الدينية للمسجد وتستجيب للحاجات المدنية (طب، حساب، دواوين)

الاستمرارية التاريخية: مع أنّ الوهج الأدبي الأكبر لِبني حمدان ارتبط بحلب، فإنّ الموصل احتفظت بدورها بوصفها قاعدةً علميةً رصينة تُخرّج الكفاءات وتزوّد الإدارة والأوقاف بالخبرات.

التأثير اللاحق: وفّر القرن الرابع الهجري قاعدة بشرية ومؤسسية مهّدت لظهور أعلامٍ موصليّين بارزين في القرون التالية، ولبروز تصانيفٍ كبرى في التاريخ والحديث واللغة خرجت من بيئةٍ تشكلت لِبناتها في الحقبة الحمدانية.

ثامنًا: تقويم نقدي لحدود التأثير

محدودية «المأسسة» قبل المدارس النظامية: ظلّ التعليم في الموصل—كما في حواضر الإسلام آنذاك—معتمدًا على الحلقات والمساجد والمكتبات الخاصة، ولم يتبلور بعدُ نموذج «المدرسة» الوقفية الكبرى إلا لاحقًا.

تفاوت الرعاية بين الموصل وحلب: انصبّ جانبٌ من رعاية بني حمدان على بلاط حلب الأدبي-العلمي، مما جعل آثار الرعاية في الموصل أقلَّ بروزًا في المصادر الأدبية، وإن بقي أثرها الإداري-العِلْمي واضحًا.

الظرف السياسي المتقلب: الحروب والضغوط الإقليمية كانت تؤثر دوريًا في إيقاع الدرس والنسخ، فتوقف بعض الحلقات وتقل الموارد، ثم تعود في فترات السلم النسبي.

❁ الخاتمة

أثّرت الإمارة الحمدانية في الموصل في مسارين متلازمين: تثبيت الاستقرار الإداري والأمني، وتغذية شبكات العلماء بالموارد والصلات، ما أفضى إلى حراكٍ علمي متنوع في الحديث والفقه واللغة والطب والميقات. وعلى الرغم من أنّ شهرة الرعاية الحمدانية ارتبطت ببلاط حلب، فإنّ الموصل قدمت نموذجَ «الحاضرة الجسر» التي تربط المراكز الكبرى وتتغذّى منها وتغذّيها. ويمثّل القرن الرابع الهجري حلقةً مفصلية في تكوين الهوية العلمية الموصلية التي ستزدهر لاحقًا.

❁ *أهم المصادر والمراجع التاريخية التي تناولت قيام الإمارة الحمدانية في الموصل:*

أولاً: المصادر التاريخية القديمة

١. الطبري، محمد بن جرير – تاريخ الرسل والملوك، يذكر أخبار ظهور الحمدانيين وعلاقتهم بالعباسيين.

٢. المسعودي، علي بن الحسين – مروج الذهب ومعادن الجوهر، فيه تفاصيل عن أوضاع العراق والشام في القرن الرابع الهجري.

٣. ابن الأثير، عز الدين – الكامل في التاريخ، وهو من أهم المصادر لأنه من أهل الموصل، ودوّن أخبار الحمدانيين بتفصيل.

٤. اليعقوبي – تاريخ اليعقوبي، يعرض صورة عن أوضاع الدولة العباسية ودويلات الأطراف.

٥. ابن خلدون – العبر وديوان المبتدأ والخبر، يتطرق إلى دور الحمدانيين ضمن الدويلات الإسلامية.

ثانياً: المراجع الحديثة والدراسات الأكاديمية

١. شمس الدين، عبد العزيز – الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، دراسة أكاديمية متخصصة.

٢. حسن إبراهيم حسن – تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، فيه فصل عن الحمدانيين.

٣. فيليب حتّي – تاريخ العرب، يعرض الحمدانيين ضمن السياق العام للدويلات الإسلامية.

٤. أحمد صبحي منصور – تاريخ الدولة العباسية، يتناول علاقة الحمدانيين بالخلافة والبويهيين.

٥. كامل الشيبي – الحياة الفكرية في الدولة الحمدانية، يركز على الجانب الثقافي.